رواية
عباس
مدحت
البياتي
الانتقام

الانتقام

مجموعة قصصية

للمؤلف

عباس بدحت البيات

إهداء

إلى كل القراء وإلى أبني الغالي وزوجتي الغالية

عباس مدحت البياتي

القصص

1- **الانتقام**

2- **الكوب**

3- **الكرة**

4- **قبل أن تبدأ الحصة**

5- **مباراة منتخب العراق**

6- اختبار الرياضيات

الانتقام

لقساوة الظرف وثقل القدر الذي انقض على كاهلها بغتة، تحولت هدى إلى شعلة غضب متقدة في دارها، تصرخ في وجه الظلم المجحف، وتنوح على ما شقته من عناء بعد مقتل زوجها وابنها على يد جنود الاحتلال. العاقبة التي لحقت بها أثقلت روحها، وجعلتها بركانًا من الغيظ، حانقة على الزمن الأهوج، وعلى المحتل الذي أودى بالوطن إلى حتفه، وعلى العصابات التي تسرح في الخفاء، وعلى كل من دنّس تراب العراق.

ظلت وفية لخط زوجها المقاوم، تلك الشعلة التي أوقدها في نفسها بقيت تضيء فكرها وروحها، تسير على ذات الدرب في مقارعة المحتل. لم تنسَ كيف كانت تشاركه في ربط فصائل المقاومة ببعضها، حين كان التواصل بينهم ضربًا من العسر، بسبب غياب شبكات الاتصالات وندرة الهواتف المحمولة في العراق آنذاك.

الزمن بات يرهق ظنها، يلاحق صفوها، يرعبها ككابوس مارد، إذ أخذت الأوضاع النفسية والمادية والفكرية تتدهور يومًا بعد يوم تحت وطأة الاحتلال. الوحدة كانت تنهشها من الداخل، تفترس أحشاءها، وتطحن فكرها بغلٍ لا يرحم. جردتها القساوة من ألوان الطيف، ضيّقت عليها سبل الرزق، وجعلتها منكمشة على ذاتها كصفيح مطعوج، أسيرة للعُقد، خالية الوفاض، صفراء من الحب والرزق والعاطفة. كبلتها

الوحدة بسلاسل الحزن والكآبة، حتى غدت لا تحتمل عصف الزمن.

أصبحت أسيرة الظنون والفكر المشتت، منهكة من نكد الدنيا ونكاية الظرف الذي أرهق مساعيها، وكبّل عقلها بالعُقد. قررت أن تنهي حياتها بطريقتها الخاصة، بعد أن قرأت المشهد جيدًا، وأيقنت أنها باتت جزءًا من حالة ميؤوس منها. الأوضاع المأساوية تلاحقها، تضيق عليها الخناق، وتنبئ بأن القادم سيكون أشد وطيسًا، سيجرف من حضنها ابنتها، ويجعلها أسيرة للرحمة، أو تحت كفالة أخيها قاسم أو عمها فريد.

قررت أن تأخذ بثأر زوجها وابنها من جنود الاحتلال، أولئك الذين دمروا سعادتها وأسرتها، وأفسدوا البلاد، وقلبوا موازين الحياة رأسًا على عقب. لم يرحموا عزيزًا ولا فقيرًا، ولم يعوضوا منصبًا ولا جاهًا ولا وظيفةً لمن فقدها.

قال تعالى: "الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها"، فكيف بجيشٍ جل أفراده من المجرمين واللصوص؟ الدمار أصاب كل القطاعات، وأثقل كاهل الشعب، مأساة لا توصف، وزعت كأرزاق على الفقراء بالتساوي. لذا، لا بد من ردة فعل رادعة ضد القتلة.

هدى لم تُرهق فحسب، بل فقدت كل مقومات الحياة. خسرت أعز ما تملك: زوجها، ابنها، ومصدر رزقها. الذل والفقر أكل حصيف فكرها، والحزن أطبق على قلبها كوشاح الليل، التيه لف عقلها، وشل مشاعرها. هجست بالنار تجري في عروقها، تلسعها بلا هوادة.

رغم قناعتها، رأت أن الحياة غدت عقيمة، سوداء، لا تروق لأحد، وأن خط الأمان ينحدر نحو الهاوية. الموت بات حتميًا، سواء بتتبع المجرمين لها، أو بسبب تعاونها مع المقاومين، أو نتيجة ما حل بها من قهر نفسي وذهني. النميمة والوشاية تحيط بها، ولن تفلت من العقاب، فمصابها معروف للجميع، بفقدانها زوجها الضابط وابنها المقاوم.

هذا الخيط كفيل بأن يستدل به الواشون للنيل منها، وسيصلون إليها عاجلًا أم آجلًا.

منذ دخول المحتل، انتمت وزوجها لفصائل المقاومة، وكانت تعمل كطير مرسال بين شعبها، بسبب ضعف شبكات الاتصال. تمكنت من كسب ثقة المقاومين، والتعرف على قادتهم وأوكارهم، واستمر هذا التعاون قرابة عام، حتى دخلت في أواخر شباط 2005.

ما منعها من اتخاذ قرار الانتحار إلا ابنتها ريم، فكرت فيها مليًا، ووجدت أن بقائها يعني موت ريم جوعًا وتشردًا. أما إن تركتها للقدر، فسيعتني بها عمها أو خالها، الذين حالتهم المادية أفضل، وستعيش حياة كريمة لا تستطيع هدى توفيرها.

رأت أن موتها بعز وشرف خير من موتها في دياجير السجون، فالوشاية والعصابات العميلة تلاحقها، وإن بقيت ريم معها، فلن تقاوم الفاقة، وستصاب بالأمراض النفسية والمزمنة، وتموت أمام عينيها في ظل انعدام الرعاية الصحية.

لذا، قررت أن تأخذ بثأر زوجها وابنها، وتمنح ريم فرصة لحياة كريمة في كنف عمها أو خالها أو أحد الخيرين من أبناء الوطن، عسى أن تحظى بمستقبل مشرق من بعدها

بعد اليأس هدى... اختارت أن تكون جمرةً في وجه الريح

اتصلت بأبي علي، قائد إحدى مجموعات الفصائل المقاومة، وشرحت له رغبتها في تنفيذ عملية استشهادية. طلبت منه تدريبها على استخدام الحزام الناسف ليومين، وفي اليوم الثالث، احتضنت ابنتها ريم كما لو أرادت أن تبتلعها في جوف صدرها، أغدقتها بعاطفة حارّة لا نظير لها، كادت أن

تثني عزمها لولا المأساة التي ترسّبت في أعماقها، وحشرتها في زاوية ضيقة، تلك التي كحّلت جفنيها بالأرق.

احتارت في اختيار المكان الذي تترك فيه ريم أثناء تنفيذ العملية، ولم تجد أأمن من جارتها أم عائشة. أقنعت ابنتها الصغيرة، وأوهمتها بأنها ذاهبة إلى السوق لشراء بعض الحاجيات، وأنها لن تصطحبها خشيةً من العاصفة التي تعصف بالخارج. أخذت بيد ريم، تلك الطفلة المطيعة التي اعتادت الإصغاء لأمها، وقادتها إلى دار أم عائشة، تنظر إلى براءتها بعينٍ مثقلة بالحنين، بعد أن فقدت زوجها وابنها.

قبلتها قبلة طويلة، والدمع يترقرق في محجر عينيها، ثم طرقت باب جارتها وهي تكاد تنهار من الداخل، نتيجة عصف الشوق والفراق الأخير.

فتحت أم عائشة الباب، وما إن رأت هدى بشحوبها، حتى أصابها الذهول من ملامحها التي تفضح هواجسها، وتكشف حجم الصراع المدفون في أعماقها. كانت هدى في لحظة حرجة، مشحونة بالخوف، مفعمة بالرعب والانتقام، محمّلة بعبء الشجن ولوعة الآهات أمام الجلاد.

كانت تقف على قمة هي أعلى القمم، شامخة تنتظر لحظة العدم، تنظر إلى الفضاء وكأنه ساحة معركة، ترسم طريقًا

مستقيمًا بين الدنيا والآخرة، حيث ترى زوجها وابنها ينتظرانها خلف السحب فرحين بقرارها.

قالت لأم عائشة بصوت مرتجف:

– السلام عليكم...

– وعليكم السلام، خيرًا يا هدى؟ أراكِ لستِ على ما يرام، تفضلي بالدخول...

– لا، ليس وقت ضيافة، إن شاء الله بعد عودتي من مشواري. لا تقلقي، إنه مجرد ضيق يعتري صدري. حبيبتي أم عائشة، أود ترك ريم عندك حتى أعود من السوق، الجو عاصف ولا أريد أن أحتار بها، وقد أنشغل بالبضاعة.

– على الرحب والسعة... تعالي يا ريم، أدخلي، العبي مع عائشة.

– خذي هذا الرقم، رقم أخي قاسم، إن تأخرتِ، اتصلي به. الحياة لم تعد آمنة، والطرق باتت مليئة بالمفاجآت.

– لا تقولي ذلك، إن شاء الله تعودين بالسلامة، وأدعو الله أن يحفظك. اقرئي آية الكرسي، تحميك من شر الأشرار.

– شكرًا لكِ، الأوضاع مقلقة، والحذر واجب...

ثم احتضنتها، وودعتها والدمع يملأ عينيها.

– مع السلامة...

– مع السلامة...

قالت ريم:...

– ماما، لا تتأخري...

– لا، لن أتأخر يا ريم، فقط كوني عاقلة، لا تفتعلي المشاكل، سأعود حال إنجاز مشواري.

– صار ماما...

خرجت هدى في يوم عاصف، يتخلله رذاذ مطر ينبئ بوابل قادم. بقي صوت ريم يرنّ في أذنيها، كأجراس وداع لا تهدأ. كانت قرقعة القوارير وصفير الريح تثير رهبة في النفس، لم تهدأ طوال الليل، مع ارتجاج النوافذ وصكّ الأبواب، وكأن الطبيعة تتآمر معها لتزيد من عزمها.

الشمس ناحلة في الأفق، منزوية خلف غيوم سوداء، خجلة في إطلالتها، كأنها تشارك هدى لحظة الوداع. كان ذلك الصباح الأخير من شهر شباط، والرياح تصفر في أبواقها، معلنة يومًا ملبدًا بالمفاجآت. الأشجار تحف الأجواء بحفيفها،

والطيور صامتة، هجرت سماء بغداد، كأنها تبحث عن ملاذ أكثر أمنًا.

شعرت هدى أن الزمن يعاكس خطاها، يسرّح شعرها الأصهب بمشط الخوف، ويلبسها جلباب الزفاف الأبيض من جديد، لكن هذه المرة زفاف دون عودة إلى الموت. الناس منشغلة بأرزاقها، تخرج ولا تضمن العودة، تتأمل أن يعود الأمان من سفره الطويل.

رجل مسن يدفع عربة خضار، وآخر يحمل كيسًا من الخيار، وأطفال يلعبون في الزقاق، والوجوه بائسة، تبحث عن شيء مفقود، عن كرامة ضائعة، عن أمانٍ بين أقدام المحتل. الكل يتنفس الصبر المر، ينتظر فرجًا لا يأتي، واليوم التالي دائمًا أسوأ من سابقه.

هدى، وسط هذا المشهد، كانت تمضي نحو قدرها، نحو لحظة الثأر، نحو قرارها الذي لا رجعة فيه.

بدأت بعض الدكاكين تفتح أبوابها، والرياح تعبث بأكياس النايلون الملونة المتطايرة في الأفق، وكأنها طقوس مهرجان غامض، مهرجان فرح ستشرع هدى في تدشينه من موقع جنود المارينز. سيكونون أول من يشهد ابتهاج هذا اليوم، يوم الثأر والانتصار، يوم لا تذهب فيه دماء الأحبة سدى.

كانت الطرق تخرّ أمام خطواتها، تحفّها نحو مصير مجهول، لكنها تمضي بأمل أن تلحق بركب زوجها وابنها، تشعر بهما يسايرانها، يحثانها على المضي قدمًا، يشجعانها على العبور نحو حياة أخرى، أوسع وأجمل، تهجس بهما ينتظرانها خلف حاجز الذاكرة، لا يفصلها عنهما سوى هالة ضبابية تغشي عينيها. إنها الجنة التي تشتاق.

قلبها مطمئن، قرارها محسوم، لم تعد تملك من الدنيا ما يدعوها للبقاء. الجهاد ضد المحتل فرض وواجب، كما جاء في قوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} – الحج 78 {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ... أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ} – التوبة 20

كانت تقرأ الآيات وهي تجتاز الشوارع متجهة نحو نقطة عبور قرب جسر الأئمة، حيث يتمركز جنود الاحتلال. الجسر يربط بين الأعظمية والكاظمية، نقطة استراتيجية تسهل سيطرتهم على ضفتي بغداد.

لم تعد ترى شيئًا سوى هالة سوداء، ذهنها منصب نحو الهدف، عيناها مبيضتان، والسيقان تتحرك كآلة ميكانيكية، لا تعب، لا تردد، فقط إصرار وتحدٍ. تمسك بقرارها بيدها وبقلبها، لا خوف يردعها، حاضرة بكامل كيانها، عزمها كجبل لا تهزه ريح.

اشترت من بقالة ثلاثة كيلوغرامات من البرتقال، وضعتها في كيس شفاف، ومضت نحو هدفها. تراءى لها الهدف كتفاحة تنتظر القضم، وضعت يدها اليسرى على زناد الحزام الناسف تحت عباءتها، واليمنى تحمل كيس البرتقال، متجهة نحو سيارة همر عند مدخل الجسر.

صرخ بها جندي المارينز: – Stop!

تحجرت في مكانها، رفعت حاجبها كإشارة ود، وابتسمت ابتسامة مشرقة، وجهها أضاء كالبدر في ليلة زبرقان. تركت كيس البرتقال على الأرض، ثم دارت عائدة بخطوات بطيئة.

نادى عليها الجندي مجددًا: – Stop. Come back.

عادت إليهم، والغبطة تغمر قلبها، ابتسامتها أغشتهم، فارتبكوا. شكهم تراجع أمام إشراقة وجهها، وغريزتهم طغت على حذرهم. ظنوا بها حسن النية، ونسوا الحذر. كانت الفراسة حاضرة، أدركت نواياهم، وابتسامتها كانت لغمًا بعثرته في أحضانهم.

اقتربت منهم، خمسة جنود تجمعوا حولها، وكل منهم يقرأ في وجهها دعوة للود. وما إن وصلت، حتى تلاقت الابتسامات على وقع التفجير. عصف بهم، تناثرت

أجسادهم، احترقت عجلة الهمر، اختلطت الدماء الزكية بالفاسدة، ولم يبقَ سوى جزء من عباءتها السوداء.

هدى... ثأرت لزوجها وابنها، وذهبت شهيدة مطمئنة. {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} – آل عمران 169

لكن خبر التفجير سمع به القاصي والداني في الأعظمية، تناقلته الأنباء بسرعة البرق، حرق عجلة همر وقتل عدد من جنود الأمريكان. كان قاسم قد سمع بالخبر عن طريق مكالمة مجهولة في تمام العاشرة صباحا مع ساعة الانفجار، وقع الخبر عليه كالصاعقة، جعله يدور في محيط حيرته، كان الخبر مختصرا في عنوانه ومفاده: { مبروك شهادة أختك هدى}.. الصدمة هزته، أيقظته من غفلته، كيف استشهدت؟ أين تركت أبنتها ريم؟ الخبر يقول مبروك فمن أتصل به؟!! إذا في الخبر تكمن أسرار، إذا أنها لم تقتل مطلقا، بل ربما قامت بعملية انتحارية صرفة، ربما ثأرت لأبنها ولزوجها.

كيف يتحرى عن الخبر؟ كيف يذهب للمنطقة ويسأل عن أخبارها؟ ربما بيتها مراقب، بذلك سيعرض نفسه للمسائلة، وربما للسجن المؤبد والملاحقة.

بقي أسير نفسه ينتظر الفرج وهو يتبع الاخبار عبر المذياع، لن يستطع أن يبوح بالخبر، تكتم به عن زوجته، لربما تثار

بـردة فعـل تفضـح نفسـها وتفضـحه، صـار يكلـم نفسـه وهـو فـي ذهـول تـام؛ دعنـي أهيـئ فرصـة لـذلك. لا يسـتطيع أن يسـأل عنهـا فـي منطقـة سـكناها، لا يسـتطيع أن يسـأل مـن جيرانهـا، الخـوف مـن المجهـول والحـذر لابـد منـه، بـل صـار واجـب عليـه أن يتخفـى عـن الأنظـار، أن يتحفـى بالحـذر، أن يبتعـد عـن الناس.

أمـا أم عائشـة، فقـد انتظـرت عودتهـا حتـى الأصـيل، دون أن تعـود. سـمعت بخبـر التفجيـر الـذي تناقلتـه الأنبـاء، فاتصـلت بقاسم:

– أخ قاسـم، السـلام علـيكم. أختـك هـدى تركـت ريـم عنـدي وذهبـت للسـوق، ولـم تعـد حتـى الآن. أخبرتنـي أن أتصـل بـك إن تأخرت. أنا جارتها أم عائشة.

رد قاسم بصوت مرتبك:...

– شـكرًا لـكِ. هـي فـي المشـفى، تعرضـت لحـادث مؤسـف، وهـي فـي غيبوبـة. أرجـو أن تحضـري ريـم غـدًا صـباحًا إلـى مشفى النعمان، سأنتظرك عند الباب.

– لا إله إلا الله، وكيف حالها؟

– كما قلت، في غيبوبة.

لـم يشـأ أن يبـوح بالحقيقـة، فالجـدران لهـا آذان. وفـي صـباح اليـوم التـالي، وصـلت أم عائشـة، تعـرف عليهـا مـن خـلال ريـم، فناداها:

– ريمه، ريمه.

التفتت إليه:

– عمه، هذا خالو قاسم.

فتح باب السيارة، وأجلس ريم، ثم قال لأم عائشة:

– السلام عليكم، شكرًا لوفائك.

– أخبرني عن هدى، هل أستطيع رؤيتها؟

– لا، لـن تسـتطيعي. أرجـو أن تمسـكي أعصـابك، وتخفضـي صـوتك. هـدى تشـكرك وتبلغـك السـلام، لكنهـا انتقلـت إلـى جـوار ربها.

– لا، لا تقل ذلك...

– يـوم أمـس، فجّـرت نفسـها فـي مجموعـة مـن جنـود الاحـتلال، قتلـت خمسـة مـنهم، وأحرقـت عجلـة الهمـر. أرجـوكِ، لا تتصـلي بـي، ولا تتحـدثي عـن الأمـر. إن عرفـوا أن ريـم كانـت عنـدك، سيشملك الاتهام. أرجوكِ، اكتمي السر، وادعي لها بالجنة.

– حاضـر، لقـد فاجـأتني. كانـت جميلـة، فرحـة، كأنهـا أرادت أن تقابـل ربهـا بأحسـن وجـه. الله يرحمهـا، هـي أختـي وجـارتي منـذ خمسة عشرة سنة.

مسـحت دمعتهـا، وودعتـه، والحـزن يتقطـر مـن وجههـا، وفـي صـدرها آهـات محصـورة، تكـاد تختـرق جـدار الصـمت المغشـي بلون عباءتها السوداء.

الكوب

فينوكر/ 2018

كان أنس لا يزال يعيش على الفطرة، لم يبلغ رشده بعد، في طور المراهقة بعمر أربعة عشر عامًا، في مرحلة البناء والترقب. في هذه الفترة الحرجة، صاحب شابًا من عمره يُدعى أحمد الصومالي، طالب كسول يشاركه صفه، جمعتهما صفة الهجرة.

اكتشف أحمد ذكاء أنس ونباهته في اللغة السويدية والرياضيات والعلوم، فالتصق به وتقرب منه، وجعله صديقه المفضل، لا يفارقه، خاصة حين وجد فيه معينًا له على فهم الدروس التي يعاني منها. وبعد أن جمعهما الظرف في صف مشترك، لمس أحمد صفاء معدن أنس وبراءته وقلة تجاربه، فوجد فيه اختلافًا كليًا عن نفسه وعن شلة أصدقائه. ومن هنا، راودته فكرة استغلال تلك البراءة في عملية سرقة وابتزاز دون أن يُعلمه بنيته.

أما أنس، فقد وثق بصاحبه ثقة عمياء، وسايره في مرافق المدينة دون أن يشك في نواياه، فقط رغبةً في إذابة جليد الوحدة التي كان يعاني منها. رأى فيه مفتاحًا لسعادته، ومنظمًا لأفكاره، وبلسمًا لوحدته، ورفيقًا لسراطه. كان بحاجة لتجارب جديدة تعوض نقص خبرته، بعدما اعتاد

الاعتماد على والديه في إدارة حياته، حتى أنه لم يكن يتخذ قرارًا إلا بعد استشارتي.

مرت الأيام دون تغيير في نمط علاقته بأحمد، وكنت سعيدًا بسعادته وتغير أجوائه، حتى جاء اليوم الذي انكسرت فيه تلك البراءة على حجر خبث أحمد. حيث طلب أحمد من أنس مرافقته إلى جمعية "الكوب" القريبة من المدرسة، مستغلين إحدى الحصص الشاغرة لشراء بعض الحاجيات، في وقت كانوا يشغلون أنفسهم فيه بالمرح والتخوير.

بالطبع، لم يمانع أنس طلب صديقه، ورأى فيه فرصة لتلطيف الأجواء، رغم أنه خالف وصيتي بعدم مغادرة المدرسة لأي سبب كان. كان تصرفه غير مسؤول، واعتبرته خرقًا لتعهداته لي وللمدرسة، خاصة أن المدارس هناك لا تحيطها أسيجة، ولا توجد رقابة فعلية من الإدارة على الطلاب بعد انتهاء الحصص.

دخل أنس في صراع داخلي بين طاعة أوامري ومجاملة صديقه، فاختار الأخير، وذهب معه إلى المتجر برفقة زميلين آخرين، أحدهما أفغاني والآخر سويدي. ظن أن أحمد ينوي شراء بعض المستلزمات، لكنه فوجئ بطلب أحمد منه وضع بعض المقتنيات في حقيبته، ثم همّ بالخروج دون دفع ثمنها، تاركًا أنس يسير خلفه.

كـان الكاشـير يـراقبهم عبـر الكـاميرات، فشـك فـي نوايـاهم. هـرب أحمـد قبـل أن يُحتجـز، بينمـا وقـع أنـس فـي المصـيدة، ورصـدته الكـاميرا وهـو يحمـل المسـروقات، التـي لـم تتجـاوز قيمتها سبعة دولارات.

أراد أحمـد تنفيـذ عمليـة السـرقة بتحميـل أنـس وزرهـا، مسـتغلًا طيبتـه وبراءتـه وقلـة تجاربـه، معتبـرًا ذلـك "شـطارة" ولعبـة يـورط بهـا زميلـه. لـم يكـن أنـس قـد مـر بتجـارب خبـث كهـذه، كـان قـدرًا جميلًا تـدحرج فـي طريقـي، حلمًـا جميلاً تغنيـت بـه، طيـرًا مهـاجرًا سـكن هوسـي وصـمتي، عشـعش فـي فكـري وقلبي، صار قدري وسري، قوتي وضعفي وهواني.

كبـر الحلـم مـع مـرور السـنين، صـار نطيطًـا علـى أغصـان وجـداني، عـاش وحيـدًا، تأمـل الـورود والريـاحين، واكتسـب منهـا صـفاته وسـلوكه، صـار لغـزًا يـدور فـي أروقـة ذاتـي، برعمًـا يمتـد علـى أسـطر حيـاتي، اهتممـت بتفاصـيله، حتـى نمـا وارتقى، فبان بزهده وعفته نجمًا ساطعًا بين أقرانه.

ومـع مـرور الأيـام، بـان وسـط الفوضـى كشـعلة مـن الطيـب والولـه، اسـتقطب رفاقـه بشـذى طيبـه وعطـره، بلسـانه وقلبـه وصـدقه، أثـر فـيهم وتـأثر بهـم، حتـى اكتشـف شـوائب الخبـث والمكر في علاقاتهم، التي لم يألفها من قبل.

كانت علاقاته شفافة من جانبه، فتقربوا منه لتفوقه، ولم يتحسس زيفها إلا متأخرًا، إذ اندفع نحوهم بشدة لكسر حاجز الوحدة، فلم يجنِ منها سوى نتانة الصحبة وخبث النوايا، حتى غُزَّ بأشواكهم.

كان وما زال قطعة قماش خام بيضاء، لم تتلوث بمحيطه، لم يجلده الزمن، بقيت صفاته نجيبة، كريمة، يسودها سحر الخجل، بريئًا، سلسًا، هادئًا. ربما الوحدة صقلت طباعه، فبان أليفًا، صادقًا، يجول بين فكره ولغز أصحابه.

رغم قسوتها، جردته الوحدة من عقدة الخبث والرذيلة والأنانية، هذبته، وجعلت منه صورة ترتقي لمصاف الحلم المراد، منعته من الانزلاق في أزقة العبث والفسوق، قومت سلوكه، وأرشت شخصيته بشيء من الصفاء واللين والدين، بعيدًا عن المخاشنة والمكابرة.

حاول كسر روتين وحدته بصداقات جديدة، لتبعث فيه طاقة تكشط سكونه، وتنقله إلى دائرة التكوين والحركة، لإبراز مفاتنه. خرج عن إطاره المألوف، وكنت أشجعه على ذلك لتجنب أمراض العصر والتوحد، رغبت أن تتفتح أزاهيره بألوان الطيف، وتسمو به إلى مراتب إعداد الذات.

كنت أخاف عليه من شزر العقد النفسية، التي لا يدرك خطرها إذا ما تجرد عن مداهنة المجتمع. الشيء المفرح فيه، أنه يملك قابلية عالية على الاختلاط والاندماج، كان مهووسًا بالرفقة والتحاور منذ صغره، كأن ملكًا يرشده بالفطرة.

بعد الحادثة، أُحيل إلى المحكمة، ولأنه قاصر، عُين له محامٍ صوري لم يتدخل في القضية رغم اطلاعه على ملابساتها. وبعد أن سقط كالعصفور في شباك أحمد، تكالبت عليه المطارق، رغم أنه لم يلمس المسروقات بيديه من خلال الفديو الذي عرض. نصحه القاضي والمحامي بانتقاء أصدقائه بعناية، وحُكم عليه بغرامة قدرها خمسون دولارًا، وتحذير بإنزال عقوبة أشد في حال التكرار.

من الضروري أن ينتقي الإنسان زملاءه في كل مرحلة من حياته، فدائمًا هناك من يحسد أو ينافس أو يضمر مرضًا نفسيًا، يسعى لاستغلال طيبته أو إلصاق الفشل به.

الكرة

عند الساعة الثامنة والنصف صباحًا، رنَّ هاتفي بإلحاحٍ متكرر، كأنَّ هناك خبرًا جلـلًا ينتظرني، أو أمرًا عاجلًا لا يحتمل التأجيل. كنت حينها غارقًا في نومٍ ثقيل، مثقلًا بكسلٍ خاملٍ تسلل إلى جسدي بعد سهرة طويلة قضيتها في متابعة بطولة أوروبا لكرة القدم. ذلك الكسل قيد أطرافي، وأثقل فكري، ومنعني من النهوض والرد على المكالمات في الوقت المناسب.

وما إن استعدت وعيي وفتحت هاتفي، حتى وجدت سيلًا من الرسائل والمكالمات الملحة من صديقي هشام، الذي لم أجب عليه. ضغطت على اسمه وفتحت خط الاتصال، لأستوضح الأمر الذي دفعه لمهاتفتي في هذا الوقت المبكر من اليوم. وما إن رن الهاتف حتى ناديته:

– خيرًا يا هشام؟ طمئنّي، ما الأمر المهم الذي يدفعك للاتصال في هذا الوقت، ونحن بالأمس كنا في سهرة مشتركة نتابع البطولة؟ لقد أقلقتني، هل حدث مكروه لا سمح الله، ولم يمهلك الوقت لتأجيل المكالمة ساعة أو اثنتين؟

– لا لا، اطمئن، كل شيء بخير والحمد لله. لكن الأمر لا يحتمل التأجيل، إنه مهم جدًا. أريدك أن تحضر إلى المحل

قبل الساعة العاشرة صباحًا، لدي موعد مع حبيبتي أنكا، وقد طلبت لقائي، ولا بد أن أكون هناك في الوقت المحدد. لا أثق بأحد أكثر منك، أرجوك لا تتأخر. لقد أخبرتني أنها لن تذهب إلى الجامعة اليوم من أجل لقائي، تنتظرني بشوق، ولا أريد أن أغلق المحل أمام الزبائن، فقد وعدت بعضهم بالحضور. لا تخذلني...

– اطمئن، إذا كانت الأمور بهذه الجدية، فأراك محقًا في سلوكك الأرعن. سأكون عندك قبل العاشرة، وما لك سوى الدلال.

– شكرًا لك يا صديقي الوفي.

لم يقل "العزيز"، بل "الوفي"، وكأنما حين وصفتُه بالأرعن، عاد فوصفني بالوفي، في كنايةٍ لا تخلو من رمزية الكلب الوفي. لا هو بريء من الوصف، ولا متهم به. لكنها أصبحت بيننا استعارة مألوفة، عجينة نلجأ إليها في المزاح والشدة، أخبزها يومًا ويخبزني يومًا، كأنني لم أقل شيئًا ولم أسمع شيئًا، لحجم العلاقة التي تربطنا.

طلب مني أن أحضر إلى المحل لأعوض غيابه فترة قصيرة، حتى يتمم لقائه مع حبيبته. عبارة "أرجو أن تأتي قبل العاشرة صباحًا" تحمل في طياتها خطة جنونه وجنوحه،

وقد قرأت مضمونها جيدًا. أرادني أن أفك كربه، فالصديق وقت الضيق.

عليَّ أن أدير المحل خلال غيابه، وأتولى بيع الحاجيات، وهي مسعّرة مسبقًا، فلا تعقيد في الأمر، وقد اكتسبت خبرة كافية من معاشرتي له.

كان قد لمح لي في المكالمة بأنه على موعد مهم مع عشيقته الشقراء، التي ستتغيب عن الجامعة من أجل لقائه. حدثني عنها سابقًا، وأوضح رغبته في الزواج منها. تلك الأشواق أجبرتها على النكوص أمام إرهاصاته، لكبح جماحها. هكذا هو جنون الحب؛ يغزو قلوب العشاق بنبال الوجد ونيران الشوق.

خرجت من البيت تمام الساعة التاسعة، متجهًا إلى المحل الذي لا يبعد عن سكني سوى نصف ساعة سيرًا على الأقدام عبر الطريق العام، أو ربع ساعة إذا ما اختصرت الطريق عبر أزقة متفرعة. فضّلت الطريق المختصر رغم وعورته في بعض الأماكن، بسبب تشعب الشوك والعاقول، وغرين الطين الذي لا يفارق أجواء ساكسونيا الممطرة.

وأنا أسير بين الأزقة الضيقة للبنايات الشاهقة، والتي تكاد بعض ممراتها لا تتجاوز مترًا أو مترين بين الجدران، خطر ببالي أنه لو شب حريق في إحداها، لانتقل إلى جارتها

الملتصقة بها، وكأن هناك سوء تخطيط أو استغلال عبثي للمساحة من قبل المالك.

وفي أحد الممرات، وفي زاوية مظلمة، صادفت كرة صغيرة زرقاء مطروحة عند قاعدة عمود نور. ولولعي بلعبة الكرة، ركلتها بقوة، فأعادتني إلى ذكريات الطفولة والصبا، حين كنت أشارك رفاقي في لعبها بشغف.

وما أن ضربت الكرة حتى شعرت بها فيها شيء من القسوة والغلاظة، وكأنها ليست كرة عادية، حيث دب ألم شفيف في مفاصل أصابع القدم. ثم أن الكرة لم تفل من مكانها، بقيت ملتصقة بعمود النور، كانت معشقة بشبكة خيوط قوية مرتبطة بالعمود كخيوط صيد السمك عديمة اللون لا ترى بالعين إلا عن قرب.

لذا لم أبالي بها وكأن الأطفال تركوها في هذا المكان ليعودوا إليها متى ما شاءوا اللعب، وخاصة موضوعة خلف بناية جانبية قرب فسحة جيدة لممارسة لعبة الكرة.

وصلت إلى المحل قرابة الساعة التاسعة والنصف، حينها أستأذن مني هشام مودعا على أن يعود خلال ثلاث ساعات، وذلك بعد أن قبل خديَّ عرفانا لاستجابتي السريعة لطلبه. كان قد قرأ عليَّ بعض التوصيات بما يخص عملية بيع بعض المواد قبل أن يخرج من البقالة .

كان هشام في هيئته أنيقًا، جذلًا، يعتني بذاته وكأنه متجه إلى حفل زفاف. ولمَ لا؟ فهو ذلك الشاب الوسيم، بلحيته السوداء الخفيفة، يرتدي قميصًا قطنيًا ناصع البياض ينسجم مع بنطال جينز رمادي أنيق.

ما إن دخلتُ المحل حتى شعرت بازدياد الزحام تدريجيًا، وكأن دخولي جلب معه الخير والبركة. توافد الزبائن بكثرة، حتى لم أعد قادرًا على خدمتهم بمفردي، قبل أن تحضر دوكانا الجميلة، صدفة، لتساعدني في البيع. هشام تأخر عن موعد عودته قرابة ساعة إضافية، ولم يرجع من مشواره إلا بعد الرابعة عصرًا.

خلال تلك الفترة، بعتُ معظم بضائع المحل حتى كاد يفرغ تمامًا من مخزونه. استغربت تلك الزحمة غير المعتادة، وكأن الأسواق الأخرى أغلقت أبوابها فجأة. انشغلت بمحاسبة المشترين على قاصة الكاشير، فيما الزبائن يتزاحمون بلا توقف.

بعت كل ما عُرض من خضروات وفواكه: البطاطا، الطماطم، الباذنجان، الكوسا، البامية، القرنبيط، البروكلي، الخيار، والجزر، والبصل، والبقدونس، والكرفس، والجرجير، والرشاد، إضافة إلى المعلبات، وأفخاذ الدجاج، والزيتون، والعنب، والبرتقال، والليمون، والأفوكادو،

والمانجا، والتفاح، والخبز، والدهون، والحبوب من رز وفاصوليا وعدس وحمص، والبهارات والزيوت بأنواعها.

كان ذلك اليوم مشوبًا بحرارة غير معتادة، كأن الغيوم انقشعت عن سماء كيمنتس في حزيران، وأشعة الشمس تلسع الأجساد، فتهافت الناس على شراء المشروبات الغازية والعصائر والمياه المعدنية. أكاد أجزم أنني صرفت 90% من البضاعة خلال أربع ساعات فقط، ولولا حضور دوكانا التي جاءت صدفة لتتبضع، لما استطعت تسيير الأمور بسلاسة. ما إن رأتني منشغلًا وحدي، حتى عرضت مساعدتها، بعد أن حجزت حاجياتها.

وأنا في غمرة الانشغال، دخل رجل غريب يسأل عن هشام، قال إنه جاره واسمه ماثيوس. أخبرته أن هشام سيعود خلال ساعتين.

ما أفرحني أكثر من الزحام هو حضور دوكانا، تلك الفتاة الجميلة التي أعشق سمرتها وملامحها، والتي افتقدتها منذ انتقالي إلى كيمنتس. كنت قد شغفت بها، مثلما شغفت هي بي، فهي لا تصغرني إلا بثلاث سنوات. لم نتبادل الحديث كثيرًا سابقًا، لكننا كنا متوافقين في الغاية والنظرة والنية.

ما إن دخلت البقالة حتى فرشت لها كرسيًا بجانبي، لتساعدني في الحساب وتصريف الحاجات، وشرحت لها سبب

وجـودي. فتحـت لهـا قـارورة بيبسـي وعلبـة عصـير برتقـال، وركنتهمـا جانبًـا لنـا. وبعـد أن فـرغ المحـل مـن معظـم مخزونـه، وضعت لافتة "مغلق" على الواجهة، لأختلي بها قليلًا.

سألتني بدهشة:...

– هل تعمل هنا؟

– لا، إنـه محـل صـديقي، ذهـب فـي مشـوار وسـيعود بعـد سـاعة أو أكثر.

ثم سألتني:..

– لمـاذا هـذا المحـل الوحيـد الـذي فيـه كهربـاء؟ السـوق كلـه مظلم، كأنّ جميع المحلات أغلقت أبوابها.

– لا أدري، حـين يعـود هشـام سنسـأله. علـى أي حـال، أنـا سـعيد بلقائـك بعـد غيـاب طويـل. كنـت أود مصـارحتك بمـا فـي قلبـي، لكـن الظـروف لـم تسـمح، خاصـة ذلـك الشـاب الـذي كـان برفقتك، عيناه سليطتان، لم يفسح لنا مجالًا للحديث.

– إنـه أخـي سـيروان، وهـو متـزوج. تصـور، أنـا أيضًـا كنـت أتأملـك، لأنـك تختلـف عـن مـن أعـرفهم، وأنـت ابـن بلـدي، ومرجعنا واحد مهما ابتعدنا.

– حسنًا يا دوكانا، أنا أحبك، وأرغب بإعلان خطوبتنا الآن، وغدًا نرتب أمورنا مع الأهل. ما رأيك؟

– المشاعر متقاربة، وأنا سعيدة بك، وأقول لك: أحبك.

ابتسمت ابتسامة مشحونة بالعاطفة، مشرقة، فيها ألق وشوق، فتحت لي أبواب قلبها، فحضنتها برقة، وقبلتها على خدها حتى احمرّت وجنتاها. مالت إلى جانبي بشوق، وذُبنا في لحظة عشق كقطعة سكر تذوب في فنجان قهوة.

وكأن خصلة من شعرها علقت بشعري، نتيجة التلاحم الذي وضع حلمنا على جادة الطريق. أعدنا لأنفسنا تأملنا وبسمتنا، ولم نشعر إلا وهشام يدخل كالصقر، مستغربًا من حال البقالة التي بدت وكأنها نُهبت بالكامل.

سألني بدهشة:...

– أين بضاعة المحل يا فارس؟

– بعتها كلها.

ارتسمت على وجهه ابتسامة استغراب شفيفة:...

– غير معقول! هذه البضاعة بشهر لن أصرفها، كيف صرفتها خلال ساعات؟ شيء مدهش، وكأنك فأل خير.

– لولا دوكانا، لما تمكنت من ذلك. كانت كالنحلة، تحملت مشاق الزبائن، وساعدتني في تصريف البضاعة. هذه هي التي شغلت بالي، وقد أعلنّا خطوبتنا، وأنت أول من نخبره.

– مبروك، ألف مبروك لكما. بهذه المناسبة، ستكونان ضيفاي على العشاء في أفخم مطعم. شكراً لكما، وأتمنى لكم حياة سعيدة. كأنك أغششتني يا فارس، من أين لك هذه الفاتنة النادرة؟

– هههه، شكراً لك، إنها ورقة اليانصيب التي ربحتها في مشوار حياتي.

– مبروك عليك.

– شكراً، أخبرني يا هشام، قالت دوكانا إن السوق كله مظلم، إلا محلك! كيف؟

– هههه، لأن الكهرباء في محلي مسحوبة من البيت، لا من خط السوق العام.

– هههههههههه يا ثعلب، أحسنت الفعل...

وقبل أن نغادر، دخل ماثيوس، جاره صاحب محل المواد الطازجة، ممتقع الوجه، غاضب، يشير إلى هشام بأصبع الاتهام:...

– شخص خبيث عبث بكرة الجوزة وفصل القابس عن السوق، فقطع التيار الكهربائي عن جميع المحلات. هذا عمل أطفال مقصود!

كان يتهم هشام، دون أن يدرك أنني أنا من ركل الكرة الزرقاء المعلقة بعمود النور، والتي كانت في الحقيقة جوزة الكهرباء التي تربط السوق بالمصدر الرئيسي. ركلتي فصلت القابس، فتوقفت أجهزة الحسابات، وشُلّت حركة السوق.

سألتني دوكانا:...

– لماذا يتهم هشام؟

– علمي علمك، ربما ماثيوس مجنون. هههههه.

ذلك العبث كان دون قصد، لكنه جاء بفائدة عظيمة لي ولهشام: تصريف البضاعة، ولقائي بدوكانا التي كنت أبحث عنها بين وجوه الناس، دون أن أجد وسيلة توصلني بها...

كما قال المتنبي: مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

قبل أن تبدأ الحصة

قبل بدء الحصة، كنا مجموعة من التلاميذ ننتظر بشوق طلة الأستاذة ميشيل، لما عهدناه فيها من بشاشة وجمال طلة وتميز في الحضور. كانت دائمًا تبدو كزنبقة الصباح، مشرقة، مرحة، تنثر حولها طاقة طفولية محببة.

لكن في ذلك اليوم، دخلت الصف بوجه مكفهر، عبوس، وكأنها تحمل همًا ثقيلًا. وضعت حقيبتها بانزعاج، وأشارت إلى كلمة كانت مكتوبة على السبورة منذ يومين، خلال حصة الأستاذ ماثيوس. الكلمة كانت بالألمانية، ومعناها بالعربية مكتوب بقلم لا يُمحى إلا بالكحول.

كنا قد نسينا من كتبها، خاصة أن من كتبها لم يكن حاضرًا، ولم نكن نعرف بعضنا جيدًا بعد، كوننا جدد في صف تعلم اللغة الألمانية. لكننا تذكرنا لاحقًا أن الأستاذ ماثيوس هو من طلب كتابتها.

الأستاذة ميشيل لم تكن حاضرة حينها، لكن بدا وكأنها تحمل غضبًا غير مبرر، وتصر على معرفة من كتب الكلمة. كان أسلوبها في ذلك اليوم مختلفًا تمامًا، حادًا، خاليًا من اللباقة التي عهدناها فيها. حاولت فرض سلطتها بطريقة غير موفقة، مما أفسد جو الصف وأثار استياء الجميع.

حين شرحت لها أن الأستاذ ماثيوس هو من طلب كتابة الكلمة، لم تتقبل التوضيح، بل قاطعتني بانفعال قائلة: "لا أريد تبريرًا، ولا أسمح لأحد بالكلام أثناء وجودي".

شعرت بالإهانة، ورددت عليها بانفعال، مما زاد التوتر في الصف. تدخل أحد الزملاء محاولًا تهدئة الموقف، لكن تدخله جاء في لحظة حرجة، فزاد من احتدام النقاش.

في النهاية، خرجت الأستاذة من الصف وهي منزعجة، ورفعت الأمر إلى إدارة القسم، التي طلبت منا مغادرة الصف والعودة في اليوم التالي.

كانت الأزمة بسيطة، وكان يمكن تجاوزها بابتسامة أو توضيح هادئ، لكن سوء إدارة الموقف أدى إلى تصعيد غير مبرر. ما حدث كان درسًا في أهمية الحوار، والاحترام، والتعامل بحكمة مع المواقف الحساسة.

بعض المواقف لا تتطلب الغضب والعناد لأنها تافهة وعادية جدا، فتنعكس على من يثيرها.

مباراة العراق وايران

اكثر المباريات تشويقا وإثارة للأعصاب هي لعبة الفريق العراقي وإيراني على الإطلاق، لما تحمل في طياتها من نكهة فنية وطابع سياسي ووطني بين الطرفين، بحيث الشعب بأكمله يتابع تفاصيلها بنسائه ورجاله ومن صغيره لكبيره .

كانت قد أقيمت مباراة بين الفريقين ضمن التصفيات المشتركة لكأس أمم آسيا وكأس العالم في عمان عاصمة الأردن بدلا عن بغداد، بسبب تفجير إرهابي سابق وقع في بغداد قبيل المباراة بشهر، وقد أستفاد الفريق الإيراني من قرار الاتحاد الاسيوي الظالم بعدم اللعب أمام الجمهور العراقي. شاء القدر أن يفوز الفريق العراقي على الفريق الإيراني في تلك المباراة بنتيجة هدفين لهدف، وقد سجل أهداف العراق كل من مهند علي (ميمي) وعلاء عباس (الاباجي)

المباراة أقيمت في نهاية سنة 2019 ، وقد علق عليها عددا من المعلقين العرب والعراقيين وبضمنهم المعلق القطري خالد الحربي للأبداع الذي أظهره في تعليقه.

وبسبب جائحة كرونا التي تفشتْ على حين غفلة في الصين ثم انتشرت في العالم؛ تم إيقاف دوري المجموعات لفترة

طويلة إلى أن وضف الاتحاد الاسيوي دورة تجميعية لتصفيات كاس العالم والامم الاسيوية لمجموعتنا في مملكة البحرين، وفي بداية شهر حزيران من عام 2021، وذلك لمعرفة الفرق المتأهلة لخوض التصفيات النهائية للبطولتين .

كان ترتيب فرق مجموعتنا قبل خوض التصفيات الأخيرة كالتالي:....

العراق بالمركز الاول، تليه البحرين، ثم إيران ثم هونك كونك وأخيرا كمبوديا.

لذلك كان على الفريق الإيراني أن يحكم أمره في جميع المباريات المتبقية له بالفوز ليضمن فرصة صعوده، وكان قد فاز في ثلاثة منها قبل ان يواجه العراق، وهي المباراة الأكثر إثارة وصعوبة في نفس الوقت .

كما كان قد أصبح ترتيبه الثاني بـ 15 نقطة بعد الفريق العراقي الذي يملك 17 نقطة، أي في حالة فوز الفريق العراقي أو تعادله سوف يخرج الفريق الإيراني من الحسابات نهائيا، فلم يبقى أمامه من احتمال إلا الفوز .

وفي يوم الثلاثاء 15\6 \2021 بدأت مباراة الذهاب وبنفس أصوات المعلقين الذين علقوا على مباراة الإياب. وكانت أحدى المواقع قد بثت مباراة الإياب الذي فاز بها العراق

(2 – 1) مع بدأ مباراة الذهاب المنقولة حيا من البحرين، تشجيعا للفريق العراقي....

حينها أتصلت بي زوجتي عبر برنامج الواتس آب تذكرني ببدء المباراة لمعرفتها بشغفي في مشاهدتها، فكتبت لها:....

أنا أتابعها الآن وكنت قد تقصدت بعدم أخبارك بها، لمعرفتي مدى تأثرك وانفعالك خلال المباراة، لذا خفت عليك أن تتعبين نفسيا إذا ما أخفق فريقنا .

وبقينا نتابع المباراة كلا من موقعه، هي تتابعها من البصرة وأنا أتابعها من بغداد.

في الدقيقة 35 تمكن الفريق الايراني من تسجيل هدفه بعد أن وجد خللا في جهة المدافع علاء مهاوي، الذي كان تاركا موضعه بتقدمه الغير مبرر، وهو دائما ما يقع بنفس الخطأ.

حينها أغلقت الهاتف وعدت لغرفتي حزينا، كئيبا، بسبب تقصير علاء مهاوي وإهماله لموضعه. إهمالٍ بسيط أودى بالفريق الى الخسارة.. وبعد نصف ساعة من اللعب عدت أكمل المباراة مرة أخرى، وما أن فتحت الهاتف؛ حتى نقلني إلى موقع بث المباراة الأولى، ولكوني أعرف تفاصيلها، لذا بحثت عن البث الحي للمباراة الثانية..

بصراحة؛ كان اللعب رتيبا من الجانب العراقي وكأنَّ لاعبي الفريق العراقي في سكرة من أمرهم، بسبب ضعف اللياقة البدنية من جهة والرطوبة العالية في البحرين من جهة إضافة لتدني مستوى البعض منهم. ذلك ما أثر على جهد الفريق كمجموعة، بعكس المباراة الأولى التي كان فيها الفريق العراقي هو الأفضل وهو المتسيد أشواط المباراة. هكذا انتهت المباراة بفوز الفريق الإيراني بهف سردار اليتيم.

بعد المباراة قلت في نفسي دعني أتصل بزوجتي لأرى فيض مشاعرها بعد الخسارة، وما أن بعثت لها برسالة عن الواتس أب طالبا منها أن تتصل بي؛ حتى رن هاتفي عبر برنامج التواصل الاجتماعي الواتس اب، لأرى وجهها وهي تبتسم والدموع تترقرق في محجر عينيها من الفرح، كانت تشهق وهي تحاول أن تعبر عن مشاعرها، ماسحة دموعها بأطراف كفيها، فقلت لها محاولا تهدئتها؛...

لمَ هذه الدموع، الفريق لا يستحق هذا التأثر عليه، لم يكن لعبهم بالشكل المثالي، لذلك خسرنا، ومع ذلك صعدنا لخوض تصفيات كأس العالم وأمم آسيا..

لا لا لم نخسر... نحن اللذين فزنا، سجلنا عليهم هدفين....

صرت أبتسم بوجهها وأضحك قائلا لها:....

إذا هذه دموع فرح وليس دموع حزن؟ هههههه، ما بك يا حبيبتي؛ الظاهر أنت شاهدت تسجيل المباراة الأولى القديمة والتي اصحاب المواقع يبثوها ليضحكوا عالناس..هههههههه..

اسكت الله يخليك لا تمزح معي..

لا والله ليس الوقت وقت مزاح، لقد خسر فريقنا بهدف، ومع ذلك نحن صعدنا لخوض تصفيات كأس العالم وأمم آسيا.

الله قلبت فرحي لحزن، هيا أذهب عني، دعني أبحث في الفيس عن الحقيقة، لقد نغصت فرحي...

هههههه، تمام، أذهبي وتأكدي بنفسك، مع السلامة...

تركتها وأنا مشفق عليها، وقلت الحمد لله أنها شاهدت المباراة القديمة ولم تشاهد الجديدة؛ وإلا في وحدتها لأصابها مكروه جراء انفعالها.

بعد ساعتين أتصلت بها وجدتها تبتسم بعد أن هدأت أعصابها، وقلت لها...:

كيف الان مشاعرك؟.... قالت..:

أسكت وخليها؛ وانا أشاهد المباراة أنقطع البث عن هاتفي، حينها صرت أبحث عن المباراة في مواقع آخرى، وإذا بي أسمع نفس المعلق واشاهد نفس الفريقين وبنفس الملابس التي يرتدونها، وبذلك تابعت المباراة ولا أعرف أنها مباراة قديمة هههههههههه.

ما حز في نفسي، لم يكونوا لاعبي الفريق العراقي بذات الحرص الذي تأجج في حس المواطن، لذاك كان الهدف باهتا دون طعم، كان الإهمال والتقصير واضح من قبل مدافعي الفريق العراقي بشكل عام، وبالذات من قبل علاء مهاوي، ذلك ما حز النفس إلى الكآبة .

اختبار الرياضيات

قبل اختبار البكالوريا، وقف مروان تلميذ الصف التاسع أمام بوابة قدره يرتجف قلبه بقلق يخرق صمت ساعات القاعة. ورغم أنه كان يُعرف بين أقرانه بأنه أفضل تلامذة الرياضيات، إلا أنه تسلّلت مخاوف خفية إلى نفسه نتيجة تسرعه البديهي وطبعه العجول في كل شيء، العجلة نعمة ونقمة في آنٍ واحد؛ حيث لا يمكث في قاعة الاختبار أكثر من نصف الوقت المحدد، وهذا الطبع كان يؤرقه.

في الليلة السابقة للاختبار كان قد حلمَ حلمٌ فريد من نوعه. رأى نفسه جالسًا في قاعة الاختبار، وهو يتفحص ورقة الأسئلة، يكتب بإجابات دقيقة كأنها مملاة عليه من ذاكرة خارقة. وحين استيقظ، لم يتبقَ في ذاكرته من ورقة الأسئلة سوى السؤالين الأول والثاني. حاول استرجاع بقية الأسئلة، لكن دون جدوى. فقرر أن يكتب السؤالين ويحلهما بإتقان، كما لو كان يستعد لمعركة مصيرية.

وعندما التقى بصديقيه المقرّبين، عباس منشد ومحمد كلمراد، قبل الدخول إلى القاعة، حاول امالتهما إليه، سرح لهما وشاركهما تفاصيل الحلم والأسئلة التي تذكّرها، إلا أنهما لم

يعيرا له أهتماما. لم يكتفِ بذلك، بل حدّث عددًا من زملائه عند بوابة المدرسة، آملاً أن يعتبروا الحدث نذيرًا أو فرصة. لكنهم قابلوا كلامه بالسخرية والاستهزاء، واعتبروه مجرد توتر لا أكثر.

ما أن دخل قاعة الامتحان وهو مثقلًا بعبء التحدي، وقلبه ينبض بما يشبه الترقب الأسطوري، وما إن وُزعت أوراق الأسئلة على التلاميذ، حتى دهشة من وقع المفاجأة، لم يستطع إخفاء ما في داخله؛ كانت الأسئلة ذاتها التي رآها في الحلم بالتفصيل والتطابق المذهل في الصياغة والمضمون. ارتسمت على وجهه ملامح علامات الصدمة والفرح معًا، وكأنه أمام لحظة خارقة للواقع.

في تلك اللحظة، شعر أنه يملك شيئًا فريدًا يختلف به عن الآخرين، شيئًا لا يُرى، لكنه يُشعّ من داخله. انتشى بإحساس الفخر، وتملكه إعجاب عميق بنفسه، كأنّ الحلم كان رسالة خفية أو اختبارًا لقدراته المتجاوزة للمألوف. لم يعد الحلم حلمًا، بل تحوّل إلى فصلٍ من قصة واقعية، وضعته في مكانة مختلفة، أمام نفسه أولًا، ثم أمام من ظنوا أنه يهذي.

أجاب عن الاسئلة بافتنان، خرج من القاعة أول التلاميذ، انتظر زملائه، كانت اجاباتهم متفاوتة، ولكن أحدهم قال له..:

- يـــا مـــروان ارجـــو أن تحلـــم فـــي أختبـــار اللغـــة الانجليزية.هههه.

ومــن تلــك اللحظــة، أدرك أن أحلامــه ليســت مجــرد خيــالات عـابرة، بـل امتـدادٌ لوعيـه، وانعكـاسٌ لمـا يُمكـن أن يصـير عليـه، مثلما صار يظن به رفاقه.

زيارة صديق

هاجني الشوق لأزور صاحبي وصديقي وصفي في مدينة خانقين، وذلك بعد انقطاع دام سنينا بيننا بسبب تقلبات أوضاع الوطن خلال الفترة الحرجة من عمر الطائفية التي شطرت الوطن نصفين. اتفقت أن أزوره صباحا لأعود لبلدتي في الفترة المسائية، حيث المسافة بين مدينة بعقوبة التي أسكنها ومدينة خانقين تزيد عن 100 كم، تتخللها طرق وعرة وخطرة، لانتشار عصابات سرقة واجرامية لإثارة الفوضى وبلبلة الأوضاع داخلية لغاية في نفس يعقوب .

ذهبت باكرا فوصلت داره قرابة التاسعة صباحا في الأسبوع الثاني من شهر آذار. كان قد استأذن من دائرته (دائرة الكهرباء) لساعة زمن ليستقبلني بها بداره، علما الدائرة لا تبعد عن مسكنه سوى مسافة عشرة دقائق مشيا على الأقدام.

ما أن أدركت داره المنزوية في نهاية الشارع حتى تزحلقت قدمي ببركة طينية أمام عتبة داره، لأزحف قليلا ومن ثم أقع على عجيزي في وسط بركة طينية، وقد تطينت جل ملابسي وشمعت نظاراتي وكسرت الهدية الزجاجية التي كانت

بمعيتي، تلك التي أبتعتها خصيصا له، وهي عبارة عن مرآة جدارية كهربائية راقية .

صرت ألعن الشيطان بذلك وأنا أتمرغ بوحل طينٍ غريني محاولا أن أنهض وأنا أترنح بها. كانت قد شظيت المرآة من وسطها؛ حتى أنه عندما فتح الباب بعد طرقه ود أن يحتضنني؛ لكنه تراجع وفي وجهه علامة تعجب بعد أن وجد شبحا غريبا بشكله المموه يقف أمامه، شبحا متنكرا بلباس مطين .

كان قد ورس لون وجهي بلون الزعفران والطين، خجلا وهوانا وانكسارا لما رأى؛ صرت أشنف وجهه وعينيه بعينين غضنتين .

كان قد تفاجأ بدمامة مظهري وشعشعة شعري ولبسي المهلهل، وهو يرى لكع الطين عالقة بملابسي المغشية بشناعة العناء وغراء الوحل. تأسف كثيرا على حالي وهو يسألني خجلا واستغرابا عن شكلي المقنع الذي ظهرت به، حيث المنظر لبشاعته يوحي للناظر بأني مسكين من المساكين، المنظر لا يسر عدو ولا صديق. حينها سألني باستغراب.....:

- مــن أرى شمشــون؟؟..هههههههه، مــاذا جــرى لــك يــا عادل؟؟

- نعـم هـذا أنـا شمشـون، هـذا مـن شـيم الكـرم الـذي تتصـف بـه جانبـك، أليس الوضـع الـذي أنـا فيـه هـو بسـببك؟ أنـت السـبب! الـذي أهملـت موضـوع الوحـل أمـام دارك بشـكل متقصـد، كـي لا يزورك أحدا يا بخيل..!!!

هههههـه.. لـم يسـتطع إخفـاء ضـحكته وهـو يحـاول مـداراة الحالـة بما أسعفه الخجل متأسفا...

- والله صـدقت، حقـك علـيَّنـا، أنـا آسـف، علـى آيـة حـال المهـم أنـت بخيـر، وسنسـوي أمـور الملابـس حـالا، أنهـا أمـور بسيطة، أدخل للبيت وسنتدبر الأمر بإذنه تعالى....

أدخلنـي إلـى حمـام البيـت، كـان فـي حالـة حـرج واضـحة، حيـث لا توجـد لديـه ملابسـا تناسـب حجمـي غيـر لبـاس كـردي، شـروال (سـروال عـريض محـدد مـن طرفـه السـفلي) وشـال يلـف بـه الـرأس(شـراوية) مـع قمـيص أو مريـول مـن نفـس نـوع السـروال وقمـاش خـاص مـن الشـيفون يلـف علـى الـبطن يحـزم الخصر، بالإضافة لحذاء بلاستيكي رقم 42 يوائم قدمي.

كـان ذلـك اللبـاس الوحيـد المناسـب لحجمـي، لأنـه فـي صـناعة الشـروال لا تأخـذ القياسـات الدقيقـة، لـذا عرضـه علـيَّ بخجـل

فقبلت عرضه، حيث لا مناص من رفضه لذا ارتديته وأنا غير مقتنع بقيافتي .

بعد أن تطمأن على وضعي استأذن ليذهب لدائرته على أن يعود من العمل بعد الساعة الثانية ظهرا، وكان قد طلب مني اعتبار البيت بيتي لغاية عودته .

خلال عودته لدائرته كان قد حمل ملابسي المطينة في غرارة إلى مصبغة الملابس (اللاوندري)، على أن تغسل وتجهز خلال ساعتين.

المصبغة تقع في رأس الشارع من جهة اليسار وقريبة جدا من دائرة الكهرباء. بخروجه صرت أستطلع ذاتي بالمرآة وأنا أرتدي لباسي الجديد بشيء من الحيرة والعجب، أحترت في تسوية أمر اللباس، صرت ألف محزم الشروال على بطني وأفكه عدة مرات حتى شعرت بمقبولية لبسه. وما أن خرج وصفي لعمله؛ حتى خجلت من بقائي وحيدا في البيت بوجود زوجته، فقلت لذاتي دعني أخرج في جولة ما لغاية عودته من العمل...

وأنا أتمعن بصورتي الجديدة في المرآة؛ كنت استند بعجيزي على طاولة خشبية تقع خلفي، وإذ بها تميل جانبا لتنحرف وتسقطني أرضا، مع سقوطها سقطت فوقها لاختلال

تـوازني، وإذ بهـا ينكسـر أحـدى قوادمهـا الاربعـة التـي تسـتند عليـه، حينهـا خجلـت مـن ذاتـي وكرهـت حظـي الأسـود فـي هـذا اليوم، أضحيت في حالة يرثى لها.

بقيـت جالسـا علـى الارض وأنـا أشـعر بغليـان فـي داخلـي وهـذيان فـي فكـري وبحالـة عينـيَّ الغضيضـتين المنكسـرتين، بـتُ لا اسـتطيع رفعهمـا بوجـه زوجتـه التـي جـاءت تطمـأن علـيَّ خجلا وتأسفا. حينها رأفت بحالي وهي تواسيني قائلة لي..:

- لابـأس يـا أخ عـادل... أنهـا قديمـة، ونحـن نـود استبدالها....

قالتهـا بوجـه متبسـم لتسـكين حالـة اضـطرابي، كـي تلـين الأمـر وتسـوي الوضـع المهـزوز، فـي محاولـة تطييـب خـاطري المتأزمة.

اسـتأذنت زوجتـه وعينـي خلجتـان وخجلتـان جـراء فعلتـي القبيحـة؛ جـراء رعنـة الحـظ التـي أصـابتني دون إرادتـي، صـرت الـتمس منهـا العـذر وذلـك بعـد تلـك الزنقـة التـي التفـت حـولي وأرهقتنـي... كـان لزامـا علـي تـرك البيـت لعـدم وجـود زوجهـا فيـه، فخرجـت مـن البيـت وأنـا فـي غايـة الانكسـار والألـم، فقـررت مـع ذاتـي ضـرورة إصـلاح قـدم الطاولـة قبـل مغادرتي خانقين، كي لا أترك ذكرى سيئة خلفي .

حين خرجت من البيت كنت تائها، وكأني أصابني شيء من الغيلان، لقد دار رأسي في دوامة التيه، لا أدري أين اتجه، وخاصة أول مرة في حياتي أرتدي الزي الكردي بطقمه المعهود، والذي بارتدائه كنت أشعر بذاتي قد نشزت عن أصلها، أو خطأ ما غير مقبول أعترض قيافتي، هي حالة نفسية احرجتني في حينها.... لا أعرف أن أصف الحالة بالضبط، لكني كأني لست أنا. كأنَّ الملابس لا تليق بي أو أنا لا اليق بها، اختلال ما أصاب الشعور، كالذي يشعر على رأسه ريشة؛ وذلك لعدم تطابق فكرة الملابس مع شكلي ولساني.

كنت خجلا من أن يلتقيني شخص ما في الطريق ويتكلم معي باللغة الكردية ولن استطيع أن أرد عليه أو أجبه بلغته، فيتصورني نطس؛ فتنحرف أفكاره ناحية أخرى بعيدا عن الواقع، حينها قد يتوقعني مخبول أو مشعوذ أو رجل طلس أو جاسوسا أو أي شيء من ذلك القبيل الممكن تسويفه وتخويره بما يمكن أن يصفني به.....

لذا مال فكري لمنحنٍ آخر بعيدا جدا عن مخالطة الناس، لقد قررت أن أذهب لجهة خالية من البشر، لجهة نهر الوند القريب أيضا من الدار من الجهة الثانية لأستمتع بالطبيعة الخلابة والخضرة الممتدة على بساط الأرض، وخاصة نحن نركن إلى بداية فصل الربيع.

أختـرت ذلـك الطريـق لأبعـد ذاتـي عـن الشـكوك والسـخرية التـي قـد تلحـق بـي، والتـي يبحـث عنهـا آخـرون بـنهم فـي وجـوه النـاس. لأكـون فـي مـأمن مـن المطبـات والـتهكم والاسـتهزاء والتشـفي، والتـي قـد أشـعر بهـا فـي داخلـي وأنـا ارتـدي لبـاس حـظ عـاثر فـي هـذا اليـوم. ولتجنـب تلـك المطبـات فـي مواجهـة الآخـرين بشخصـية غيـر شخصـيتي الحقيقيـة، وخاصـة كـان ذلـك اليـوم قـد بـدأ معـي بشـكل عكـر ومعـاكس لمـا كنـت أتمنـى وأرغـب، وكـأنَّ العقـد قـد تجلـت فـي لقـائي، فوطـأة متنـي مـن تلقاء نفسها، أو أن الشيطان وزها فاقترنت بي.

وكـأني حـين ارتـديت الشـروال أنقلـب كيـاني رأسـا علـى عقـب، صـارت شخصـيتي التـي أراهـا فـي المـرآة لا تخصـني مـن قريـب أو بعيـد، صـارت هيوليـة، مبعثـرة، لـيس لهـا طـابع ملمـوس، صـارت مموهـة بـألوان الطيـف، لا تنتمـي إلـى ذاتـي الحقيقيـة. لـذا كنـت أتجنـب إشـراكها فـي مماحكـات جماعيـة أو انفراديـة تقتـرن بـي؛ لـذا توخيـت الحـذر بكـل مـا أسـتطيع، لأبعـد الشك عن صوت القدر الذي يجاريني.

ومـا أن وصـلت شـاطئ النهـر؛ حتـى وجـدت منسـوب الميـاه مرتفـع عـن مسـتواه الطبيعـي جـراء تـدفق ميـاه الأمطـار، فـالنهر عبـارة عـن واد صـغير تجـري بـه الميـاه القادمـة مـن الأراضـي الإيرانيـة، حيـث عرضـه لا يتجـاوز عشـرة امتـار فـي أحسـن ظروفـه، ولكـن فـي ذلـك اليـوم كانـت الميـاه شرسـة، مستفيضـة،

نتيجة تساقط الأمطار بغزارة قبل يومين، لذا أرتفع منسوب النهر عن معدله، صار يجري بعمق أكبر وبعرض أوسع مما كان عليه سابقا.

ما أن أدركت النهر حتى وجدت عليه معبرا خشبيا بالنقطة التي أشرفت عليها. وهو عبارة عن مساطر خشبية بعرض قدم ونصف تقريبا يربط جهتي النهر، صنع من قبل المزارعين الذين يزرعون محاصيلهم الصيفية في الجانب الآخر من النهر. حيث لا توجد قناطر على النهر تفي بالغرض في تلك البقعة التي أدركتها .

المعبر مكون من ألواح الخشبية مثبتة بمسامير على مسند آخر يزيدها سماكة ليحتمل ثقل الأوزان المحمول عليه. من خلال الملاحظة وجدت المسند يستند على صخرة متوسطة الحجم تقع تحته في نهاية المعبر. في الجانب الأيمن من الصخرة عثرت على لوح خشبي يشابه مسند الطاولة الذي كسرته مطمورا في التربة لغاية نصف طوله، وكأنه نسخة مطابقة لقوادم تلك الطاولة بذات الحجم والقياس والسماكة واللون، فقلت مع نفسي بأنَّ الله يحبني، فأرشدني إلى هذه النقطة النائية، لأصلح الطاولة وبذلك أصلح به شأني أمام صاحبي.

من خلال المقارنة وكأني جدت القطعة التي كنت أفكر بها وأبحث عنها في قرارة نفسي لتسوية أمر الطاولة. وقلت في ذاتي ..:

- سبحانه تعالى عوضني جريرتي لأصلح ما خربته دون قصد، في قرارة نفسي صرت أخجل من صاحبي لما تقرحت به نفسي النافقة .

لذا صرت أسحب اللوحة من باطن الارض لأعود بها إلى بيت صاحبي، مبذلا جهدا مضنيا في ذلك، حيث كانت مدفونة في التربة لغاية نصف طولها، أي بمقدار نصف متر، حركتها يمينا ويسارا حتى تمكنت من تحريكها ثم سحبها رويدا رويدا لتخرج سليمة، لخشونة التربة أو لعمق دفنها.

وأنا احاول سحب اللوحة مبذلا قصاري جهدي، العرق يتصبب من جبني؛ سمعت رجلا من الطرف الثاني من النهر يهذي ويصرخ ويسب ويلعن باللغة الكردية، هجست به مجنونا هوى به الدهر لغاية شيطانه، كأنه وجد غثاثة ما من شخص ما، أو تخيل شيطانه يقاضيه في الطرف الآخر، لذا شاهدته مسرعا وهو يربد ويعربد بصوته الأجش، ناويا عبور المعبر.

التفت يمنا وشمالا فلا يوجد شخص آخر غيري في المكان، لذا تيقنت من أنه مهبول، أو مجنون، او غير سوي، لأن منظره المشعشع يدل على ذلك، كان يرتدي فانيلة بيضاء وشروال مكفوف لحد الركب. ثم أني لا أعرف احدا في المدينة غير وصفي صاحبي.

لم أعر له اهتماما، تركته يسب ويلعن فهو يتحمل جريرة غلطه، ثم ماذا سأقول لرجل مجنون، يهذي مع نفسه. ثم أني لا أفهم على من يغلط ولا أفقه شيء من اللغة الكردية إطلاقا. ثم أنه لا يهمني من قريب أو بعيد، لذا لم أدخل أنفي في معمعته، ولا أود ان أعكر مزاجي به أكثر مما هو متعكر.

هكذا أهملته وسيرت الامور وأنا أشنف إليه بنصف عين وهو يعبر المعبر، كان مزاجه عصبيا جدا. قبل أن يتجاوز نصف المسافة كنت قد سحبت اللوح من مكانه. خلال عبوره أهتز المعبر تحت قدمه، ثم مال به جانبا، ثم هوى به وسط النهر، ليسقط والمعبر في مجرى النهر الموحل بالمياه الطينية. صار يطبطب بيديه في وسط النهر محاولا إنقاذ نفسه من الغرق دون جدوى، لسرعة جريان النهر وعمقه، صار النهر يجرفه بتياره دون أن يعرف فن العوم... حينها همت بمد يد العون له، كان اللوح قصير لا يفي بالغض، لذا أحترت في طريقة مساعدته وهو يعاني من الغرق، وقبل أن

يغطس ويذهب في خبر كان، وجدت حبلا مرميا على جانب من الجرف، فرميت له رأس الحبل فتمكن من التقاطه والتشبث به؛ حتى تمكنت من سحبه لحافة الجرف.. عملت له عملية تنفسا اصطناعيا حتى عادت له روحه وصار يتنفس بشكل طبيعي بعد أن أفرغ المياه الثقيلة من معدته. بعد أن أستعاد وعيه وانفاسه حاولت تطييب خاطره ومساعدته على النهوض، فقلت له...:

- الحمد لله على السلامة، لولا وجودي لكنت مت، كيف تعبر للجهة الثانية وأنت لا تعرف فن العوم؟
- أأنت عربي؟
- نعم.
- لِمَ ترتدي الملابس الكردية؟
- اها....ماذا اقول لك، أنها حكاية طويلة، قلي كيف تشعر الآن؟
- أشعر بالزفت والقرف.. يوم أسود الذي رأيت فيه وجهك.
- لِمَ يا عم؟ ماذا فعلت لك لتسبني؟ قبل قليل أنقذتك من الموت؟

يـا غبـي؛ أنـت سـبب سـقوطي، انـت رفعـت اللوحـة الخشـبية مـن تحـت الصـخرة وأختـل المعبـر، لـولا وجـودك الشـيطاني مـا كنـت سـقط فـي النهـر، اللـوح الـذي رفعتهـا كـان مسـندا للصـخرة التـي أنبنـى عليـه المعبـر، برفعـك اللـوح تحركـت الصـخرة عـن موضـعها، فمـال المعبـر وسـقط فـي النهـر، هـل فهمـت جريرتـك أيها الغبي..

بقيـت سـاه لا أعـرف مـاذا أجيبـه وأرد عليـه، بـت أتمـتم بكلمـات الآسـف التـي صـارت تتطـاير مـن شـدقيَّ، حينهـا فهمـت لمـاذا كـان يصـرخ ويعربـد كـالمجنون، إذا كـان يصـرخ علـيَّ أنـا، كـان يـتكلم باللغـة الكرديـة التـي لا أفقههـا، لأنـه تـوقعني كـردي مـن خـلال ملابسـي الكرديـة التـي أرتـديها. فيمـا كنـت أتوقعـه مهبـولا بسـلوكه الأشـعث وجعجعتـه، توقعتـه مجنونـا وتـوقعني مخربـا عبثيا، لذا لم أرد عليه بكلمة قط .

المسـكين أضـطر أن يعبـر المعبـر ليزجرنـي ويوقـف عبثـي الذي تجاوز حالة القدر والنية دون أن أدرك سلوكي ونتائجه.

هههههههـه، أيـه يـا دنيـا.....كم مـن حـوادث عبثيـة بريئـة تـودي إلـى نكبـات جسـيمة دون قصـد، بحيـث مـن النـادر أن تجـد ما يجري بين يديك يتطابق مع ما يميس ذهنك.

من نكد الدنيا أن تجد للعبث عقد، خيوطها تقيدك بالأقدار

أن تجاوزت شكك فقد سلمت، وإلا فلا عاصم من النار.

جزاء التذكرة

بعد أن حنيَّ ظهره وبعد أن صره الزمن في درجه وساقه لحالة العجز، وبعد أن أصبح كهلا متجاوزا السبعين من العمر مفتقدا سحره وقواه وجاهه وعزه، بعد أن تفاقم ضعفه وكبلت خطوات قدميه واستفحل فقره الذي بات يسلب صحته من بدنه، قرر أن يلجأ لرفيقه الوحيد حسن والقاطن في بغداد، وجد ذاته أن يستنجد به ليعينه على جلده وعقد الحياة، لقد عاش جل عمره مشردا في شوارع وحارات الموصل، ترأف به الناس الخيرة، لم يتزوج في حياته قط، فلا قريب يعينه على هوانه ولا أخوة تجبر خاطره ولا أهل .

حميد الفرادنه عاش جل حياته وحيدا، بائسا في أزقة وشوارع الموصل وقصباتها، خلال عشرة سنوات الأخيرة من عمره انحدر مخزونه المادي والنفسي والصحي كثيرا، اشتدت عليه الفاقة، فلم يستطع تدبير شؤونه إلا بالممكن، خلال مراحل حياته الطويلة لم يستطع أن يمتلك بيتا أو يكون أسرة يحتمي بها، مع الكبر صار العجز يأكل من قدراته وينخل شؤونه، لذا بعد أن عانى ما عاناه قرر أن يغير من وضعه، أن يتنازل عن عناده ويستنجد برفيقه القديم ليطلب المعونة منه، عسى أن يشفق عليه ويعيله باقي عمره، والذي

ساناده الحظ فتمكن من أن يصنع من الفرص ذاته كتاجر مرموق للمواد الغذائية. عندها جهز ذاته واتجه لمحطة قطار الموصل وهو لا يملك قرشا في جيبه لشراء تذكرة السفر.

حين ود أن يرتقي عربة القطار المتجه لبغداد؛ طلب منه الجابي تذكرة السفر، وعندما وجده دون تذكرة منعه من صعود العربة، حيث كان الجابي في الأصل من أهل بغداد، فلا يعرف حالة حميد الفرادنه المتدنية. لم تنفع توسلاته في إقناع الجابي قط، ولم يعن الجابي لكبر سنه ولم يلين لطلبه والمذلة التي شاقته.

خلال مجادلته الجابي كان قد لفت أنظار أحد الشرطيين اللذين كانا يرفقان سجينا معهم بمهمة مأمورية لمراكز تحقيق العدالة في بغداد، وبعد أن تركه الجابي استدعياه سائلينه عن سر عقدته مع الجابي....:

- ما بك يا عم؟

- ليس عندي نقود لشراء التذكرة وحضرة الجابي منعني من صعود العربة.

- إلى أين تود الذهاب؟

- إلى بغداد.

- ما رأيك نأخذك معنا كسجين نضيفك لسجيننا إلى بغداد فلا أحد يستطيع أن يمنعك من ركوب عربة القطار أو يتكلم معك طالما الأصفاد (الكلبجة) تحزم معصميك..

- لا مانع لديَّ، وهي فكرة جيدة، وأنت ذكي جدا، هذه يدي قيدوني.

بعد أن أصفدا معصميه أرفقاه مع سجينهما ليجلس جنبا إلى جنب على ذات المقعد.

خلال الطريق تجاذبا الحديث فيما بينهما فيما الشرطيان صارا يتمازحا مع بعظهما لقضاء الوقت. من خلال المزاح المفتعل والذي زاد عن حدته، وللثقة الزائدة بأنفسهم ولأنهم لم يحتاطا من العبث فيما بينهم ولجلوسهم قرب النافذة؛ سقطت عدة مفاتيح الأصفاد (الكلبجة) بطريقة ما من يد أحدهما خارج نافذة العربة والقطار يجري بسرعته المعتادة. هكذا جرت الأمور دون أن يكون لهم قصد ولكن أحيانا تجري الرياح بما لا تشتهي الأنفس، المشكلة التي حصلت لا تخص السجين الحقيقي أنما تخص حميد الفرادنه . حيث لا يستطيعان فك اصفاد اغلاله في داخل مراكز الشرطة، لأنه فيها مسؤولية تقع على عاتق الشرطيين، قد يتعقبا أو يطردا من العمل أو يسجنا على فعلتهما الغير مسؤولة.

خلال الطريق سأل السجين الحقيقي حميد الفرادنة...:

- يا صديقي قل لي ما تهمتك؟ هههههههه.

- أنت أدرى مني بالتهمة، لا أملك تذكرة سفر. هههههههه.

- والله يا عم هذه الأصفاد لن تحزم يد أحد ما من البشر إلا وهو في حياته قد أجرم جرما ما، قلي بصدق؛ ماذا فعلت في حياتك؟ سرقت أم زنيت؟ أم قتلت بريئا..

- تراك صاحب خبرة، عنوة تود أن تضع حبل المشنقة برقبتي. هههههه... قلي ماذا عنك أنت؟ لم هذه الأصفاد في يديك؟

- قتلت زوجتي في بغداد بعد أن مسكتها تزني. فهربت للموصل وتم القبض عليَّ.

- انصحك لا تعترف، ابقى صامتا قدر الإمكان.

- وهو كذلك.

هكذا جرت الأمور بين مزح وغفوة وضحكة حتى أدرك القطار محطة العلمين في بغداد. بوصولهما بغداد استأجرا عجلة تكسي ليسلما السجين لمركز شرطة الكرخ، فيما تركا

حميد الفرادنة جاسا في عجلة التكسي حتى يصلا لصيغة ما في فك قيده عند حداد ما بع أن تورطا في صفده بضياع المفتاح.

بعد أن سلما السجين لشرطة الكرخ طلبا من سائق التكسي أن يقودهما لأقرب حداد لفك قيد حميد الفرادنة، قال السائق أنه له معرفة بأحد الحدادين الأتقياء في منطقة العلاوي القريبة من محطة السكك، فأتفق مع الشرطيين أن يتجها لذلك الحداد. وبعد مداولة الشرطة الحديث مع الحداد بفك صفد الرجل الطاعن. انتبه الحداد على نوع الوشم موجود على كفي حميد الفرادنه، حينها سأله الحداد....:

- من أين أنت يا عم؟

- من الموصل؟

هنا ارتجت شمائله، بات قلبه يخفق وبشدة، الشك الذي في ذهنه بذأ يتحرك ويهتز وهو يكشط الغبرة عن الحقيقة الغافية في ذهنه والتي يعرف تفاصيلها. ثم سأله..:

- من أي عمام؟

- من عرب الفرادنة.

هنـا الشـك الـذي فـي قلبـه الـتمس هـاجس اليقـين، فـأنتفض واقفـا على قدميه. ثم سأله...:

- ممكن أعرف أسمك الثلاثي يا عم؟

- اسمي حميد جبار علي.

- هل أنت متأكد من أنك حميد جبار علي؟

- وهل أنت تعرفني.

- أنا أعرف الأسم فقط

- انا هو.

- والله لن أفك قيدك. هنا الشك تطابق باليقين.....

اتجه للشرطيين وقال لهم.....:

- والله لـن أفـك قيـده، هـذا الرجـل مجـرم ولـص، لقـد قتـل أبـي وسـرق أموالـه قبـل خمسـة وثلاثـين سـنة، ومنـذ ذلـك اليـوم وأنـا أبحـث عنـه بعـد أن أختفـى مـن الوجـود، عرفتـه مـن الوشـم الذي على كفيه، وهو منذ ذلك اليوم هارب من وجه العدالة.

- طيب فك قيده لقد تورطنا به وهو ليس بسجين عندنا.

- لن أفك قيده ولن أتركه حتى اسلمه للعدالة والآن اذهب معكم إلى أقرب مركز للشرطة لأسجل بلاغ ضده، عليكما أن تساعداني، فأنه مجرم وقاتل أبي، ونحن منذ ذلك اليوم نبحث عنه.

بعد أن استمعا إليه ذهبا لأحد مراكز الشرطة حيث قدم بلاغا ضده، ثم تم التحقيق بالقضية في مراكز شرطة الموصل بعد أن أعيد إلى الموصل مقيدا بسلاسله، ليجدوا فعلا هناك قضية بهذا الأسم قبل خمسة وثلاثين سنة، عندها أعترف بجرمه لينال جزاءه ولينفذ به حكم الاعدام على خلفية الحكم المتخذ غيابيا ضده والصادر بحقه منذ خمسة وثلاثين سنة.

وبشر القاتل بالقتل ولو بعد حين، هذا الحديث فصل بمقياسه على طوله. لقد أجرم وتستر خلال خمسة وثلاثين سنة، فأبى الله إلا أن يكشف سره للعلن على يد أبن القتيل لينال عقابه في الدنيا قبل الآخرة..

يا ترى؛ يبقى السؤال مطروحا على مجمل أحداث القصة....

لمَ لمْ يتسامح الجابي مع حميد؟

ومن الذي أوقن الشرطي لينتبه على محادثة حميد مع الجابي ليرأف بحاله ويقيده إلى بغداد؟

مـن الـذي أرشـد سـائق عجلـة التكسـي إلـى ذلـك الحـداد وفـي بغداد يوجد آلاف الحدادين؟

وكيـف خطـرت فـي ذهـن الحـداد أن ينتبـه علـى الوشـم ويسـأله تلك الأسئلة ليتعرف على قاتل أبيه؟.

أقـول فـي هـذا المجـال بـأن صـاحب الحـق لـه عنـد الله درجـة. حيـث يقـول الله تعـالى: "وبشـر الصـابرين الـذين إذا أصـابتهم مصـيبة قـالوا إنـا لله وإنـا إليـه راجعـون" ليتـولى الله امـرهم وحـل عقدهم بالتي هي أحسن..

النهاية

للكاتب عشرات الكتب بين رواية ومجموعات قصصية

المجموعات القصصية:-

1. فرصة هدف
2. عصير الرمان
3. لغة العود والحجر
4. زيارة طبيب
5. كرستال
6. الانتقام
7. صياد النساء
8. المجموعة الكاملة الجزء الأول
9. المجموعة الكاملة الجزء الثاني

مجموعة الروايات:-

1- عطر خلف الستار
2- فتاة الكاظمية
3- جنوح النفس
4- عبير
5- شذرة العِقد
6- طريق الجحيم
7- غراب البين
8- عقاب الذات
9- الاقدام المتكسرة
10- عواصف الجنين
11- فواصل الشوق
12- حين اتقدت الرأفة
13 - الرؤيا

المصبغة تقع في رأس الشارع من جهة اليسار وقريبة جدا من دائرة الكهرباء. بخروجه صرت أستطلع ذاتي بالمرآة وأنا أرتدي لباسي الجديد بشيء من الحيرة والعجب، أحترت في تسوية أمر اللباس، صرت ألف محزم الشروال على بطني وأفكه عدة مرات حتى شعرت بمقبولية لبسه. وما أن خرج وصفي لعمله؛ حتى خجلت من بقائي وحيدا في البيت بوجود زوجته، فقلت لذاتي دعني أخرج في جولة ما لغاية عودته من العمل...

وأنا أتمعن بصورتي الجديدة في المرآة؛ كنت استند بعجيزي على طاولة خشبية تقع خلفي، وإذ بها تميل جانبا لتنحرف وتسقطني أرضا، مع سقوطها سقطت فوقها لاختلال توازني، وإذ بها ينكسر أحدى قوادمها الاربعة التي تستند عليه، حينها خجلت من ذاتي وكرهت حظي الأسود في هذا اليوم، أضحيت في حالة يرثى لها.